Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 5, 2024

Deanship of Scientific Research

Teaching Arabic to Non-native Speakers for Special Purposes: The Purpose of Worship is a Model

***Nizar Qpilat*[1]*, *Balsam "Muhammad Khair" Al-Omari*[2]

[1] Department of Arabic Language and Literature, School of Arts, The University of Jordan, Amman, Jordan; Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, MBZUH, Abu Dhabi, United Arab Emirates

[2] Part-time lecturers, The University of Jordan, Amman, Jordan

Received: 5/8/2023
Revised: 28/8/2023
Accepted: 1/10/2023
Published online: 27/8/2024

* *Corresponding author:*
Nizar.qpilat@mbzuh.ac.ae

Citation: Qpilat, N. ., & Al-Omari , B. "Muhammad K. . . (2024). Teaching Arabic to Non-native Speakers for Special Purposes: The Purpose of Worship is a Model. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(5), 490–498.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i5.5369

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This paper intends to suggest solutions to the challenges of teaching Arabic to non-native learners, especially for religious purposes. Arabic learners do so for numerous motives depending on the educational purposes which include commercial, diplomatic, medical, religious, among other purposes.

Methods: This study employs the Experimental descriptive method, determining first the learner's linguistic level, identifying the educational content, and defining the teaching methods that are compatible with this special purpose as the wheel of the educational process begins with the teacher's philosophy that stems from the educational content on which the educational curriculum is based and from the extent of its awareness of the educational purpose.

Results: Through analyzing the educational content of the curricula of both "Word and Nagham" and the "Arabic at Your Hands", the study found that it included the recitation of the Holy Qur'an, the Sharia rulings, the chain of transmission, the noble Prophetic hadiths, the method of ablution, and other matters related to Sharia knowledge, without separation from the daily communicative context. The special purpose can be presented in educational curricula built according to pragmatic dimensions that take into account language context and its culture.

Conclusions: The study showed that Islamic universities and institutes concerned with teaching Arabic to non-native speakers cannot shirk their responsibilities and leave Arabic in the context of their teaching for religious purposes without specifying clear educational foundations. The legal text has always been misunderstood as a result of teaching it and presenting it with incorrect curricula and teaching methods.

Keywords: Arabic for non-native speakers, worship, educational curriculum.

تعليم اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها: غَرض العِبادة أنموذجًا

نزار مسند القبيلات** ، بلسم "محمد خير" العمري

[1] قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن؛ جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، ابو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

[2] محاضر غير متفرغ، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن

ملخّص

الأهداف: تنوي هذه الورقة إيجاد حلول للتحديات البيدغوجية التي تواجه كلًا من: متعلمي ومعلمي حقل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا سيما متعلمها لأغراض الدينية؛ فدوافع متعلمي العربية تتعدّد وتتنوّع تبعا للأغراض التعليميّة الخاصة، التي منها: الغرض التجاري والدبلوماسي والطبّي والديني وغيرها، لذا فإن الغرض الديني ظل بعيدًا عن المناهج العصرية التي راعت دمجه بالثقافي واليومي كما حصل في كتاب "كلمة ونغم".

المنهجية: وعليه ستتبع الدراسة المنهج التحليلي الوصفي ما يعني بدايةً تحديد المستوى اللغويّ للمتعلّم، وبيان المحتوى التعليميّ وتحديد طرق التدريس التي تتفق وهذا الغرض الخاص وتراعي متطلباته، إذ العمليّة التعليميّة تبدأ مع فلسفة المدرس المنطلقة من المحتوى التدريسي الذي يفرض طريقة تدريس ملائمة للغرض الخاص وتجعل من المحتوى المعرفي خادما للغرض الخاص ومستوعبًا للسياق التواصلي للغة.

النتائج: وعليه توصلت الدراسة إلى بيان طرق تدريسية من خلال تحليلها لمحتوى منهاجي "كلمة ونغم" ومنهاج "العربية بين يديك" فقد شمل المحتوى التعليمي في المنهاجين تعليم تلاوةَ القرآن الكريم والأحكام الشرعية والسند والأحاديث النبوية الشريفة وطريقة الوضوء وغير ذلك ممّا يتصل بالعلم الشرعيّ وذلك دون فصلٍ عن السياق التواصلي اليومي وهو ما دل عليه منهاج "كلمة ونغم"، فالغرض الخاص يمكن تقديمه في مناهج تعليمية تبنى وفق أبعاد تداولية تراعي سياق اللغة وثقافتها في آن.

الخلاصة: بينت الدراسة أن الجامعات والمعاهد الإسلامية التي تعنى بتعليم العربية للناطقين بغيرها لا يمكن أن تتنصّل من مسؤولياتها فتترك العربيّة في إطار تعليمها للغرض الدينيّ دون تحديد أسس تربوية واضحة، فلطالما أسيء فهم النص الشرعي نتيجة تدريسه وتقديمه بمناهج دراسية وطرق تدريسية غير سليمة.

الكلمات الدالة: العربية للناطقين بغيرها، العبادة، المنهج التعليمي.

- **تعليم العربيّة لأغراض خاصّة:**

تمهيد:

ثمّة فوارقُ بين برامج تعليم اللغة (للحياة) وتعليمها (لأغراض خاصّة)؛ وهي كما ذكرها د. طعيمة: أوجه الاختلاف من حيث: الحاجات، والمحتوى، والغرض، والانتماء لمجتمع لغويّ، والجمهور المستهدف، وسياق الاستعمال، والمستمع أو المحاور، والمنهج، والموادّ التعليميّة، والتعامل مع النّصّ، ومهارات الدراسة، والتقويم، ودور المعلّم(ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201).

وعليه، فقد باتت برامج تعليم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة تشكّل أحد الاتّجاهات الحديثة الملّحة في تمثّلها كلغةٍ ثانية منذ مطلع الستّينيات وحتى عصرنا الرّاهن، وهي من الظواهر التي كَثُر الحديث عنها مؤخّرا بوصفها محاولة جادّة تستمدّ شرعيّتها من تيسيرها لصعوبات تعلّم العربيّة بعد تزايد الرغبة العالميّة لدراستها دينيًّا إلى جانب الأغراض الثقافية والسياسية، ولعلَّ مردّ ذلك يكمن في محاولة تلبية حاجات المتعلّمين الجدد وميولهم المتباينة، وإدماجهم في البيئة العربيّة المستهدفة من خلال تحقيق ضروبٍ خاصّة من الكفاية التواصليّة المتعلّقة بهدف معيّن وبيئة بعينها، بما يؤهّلهم لمزاولة هذه اللغة بصورة مثمرةٍ طبقًا لحاجاتهم ودوافعهم، بل بات الانتظام في مثل هذه البرامج شرطًا أساسًا لاجتياز مراحلَ دراسيّةٍ عليا، أو إتمام متطلّباتِ فرع أكاديميّ بعينه، أو الانضواء في مجالاتٍ مهنيّة معيّنة: كالسّلك الدبلوماسيّ، أوالاقتصاد، أو الأدب، أوالسياحة، أو الطيران، أو الإعلام، أو التمريض، أوغيرها[1].

ويجلّي هذه الحقيقة ما ذكره د. رشدي أحمد طعيمة، ود. محمود النّاقة في هذا المجال مسبقًا في قولهما المبكر: "يمثّل تعليم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة حركةً حديثةً إلى حدّ ما في ميدان تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها تلك الحركة التي تتميّز بإعداد برامج أو بناء منهج لتعليم العربيّة لجمهورٍ خاصّ، ذي حاجات لغويّة محدّدة تفرض نفسها عند إعداد البرنامج أو المنهج. وتُلزم المسؤولين باتّباع منهجيّة علميّة خاصّة عند إعداد البرنامج، معتمدةً على التقدير الدقيق لحاجات الدّارسين، وليس على تفضيلاتٍ خاصّة للمعلّم أو توجّهاتٍ عليا. وكذا تنوّع الجمهور سواء من حيث الدّراسة الأكاديميّة، أو من حيث المهنة الحاليّة، أو من حيث المستقبل الوظيفيّ، أو من حيث السّلّم الإداريّ، كل هذا التنوّع يُسفر عن تنوّع الحاجات، ومن ثمّ يستلزم تنوّع البرامج. ولقد كانت المشكلة قائمة في برامج تعليم العربية للحياة، إذ كانت تضمّ دارسين من جهات شتّى متنوّعي الاهتمامات والوظائف والقدرات، وكان الأمر يقتصر على تزويد الجميع بالمعلومات اللغوية العامّة والمهارات اللازمة للاتّصال بالعربيّة في مختلف مواقف الحياة دون التركيز على مجالٍ تخصّصيّ معيّن" (طعيمة، 2003) وهو ما أبان عن الحاجة الماسة لبناء منهجٍ بمحتوى وفلسفة خاصة تخدم غرض لغوي له مفرداته وتراكيبه وسياقه اللغوي الخاص.

بيد أنه ونتيجة لتحوّلات قصوى تمثّلت بوقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر فقد تبيّن أن هناك فئة من المتشددين الذين ينتمون33 لجغرافية غير عربية لكنهم ينطقون العربية؛ فقد ظهر أن مجمل أعضاء هذا التيار تعلّموا العربية بعد أن دخلوا الدّين الإسلامي لغرض العبادة ورفع تحصيلهم المعرفي في علوم الدين وأصول الفقه الإسلامي وشريعته...، فتلقوا علومَها وتدرّبوا على سلوك المسلم وثقافته ونهجه ولباسه...تبعًا لمقتضيات هذا الغرض لكن من أشخاص وليس من مؤسسات أو معاهد متخصّصة، وهو ما يبرر فهمهم المختلف والمتشدد والمتباين لمصطلحات شرعية مثل: الجهاد في الإسلام أو مصطلح الحجاب عند المرأة والصوم وغير ذلك مما سننتطرق له هنا عبر تحليل محتوى بعض الدروس التي ضمنها كتاب ناصر سليم وغازي أبو حاكمة الموسوم بـ"كلمة ونغم".

فمن خلال الخطاب الذي تقدمه هذه الفئة نرى سياق الاستعمال اللغوي لديهم ينبع من استراتيجيات خطابية تفهم النّص القرآني ظاهريًا على أنه يقوم على الأمر والتوجيه والحثّ والتحريض ولا يدعو للتدبر والتمهل والتعليل، وهو ما حدا بهذه الفئة من الناطقين بالعربية من غير أبنائها تاليًا إلى تقديم خطاب يقوم على التسلّط والتّحكم وليس على المشاركة والمساواة مع الآخر وتعليل التفسير واعتبار سياقاته، فقد فهم هؤلاء سياقات الخطاب القرآني من أبواب أُحاديّة مغلقة، وتعاملوا مع النّص القرآني من دون وعي لسياقات تلقيه عند نزوله والحكمة من النّص الشرعي القرآني وتأنّيه حتى في التحريم والتحليل، فتدبر القرآن الكريم وفهم نصوصه يحتاج إلى تتبع تاريخي وتحليل لغوي وفهم للترادف المصطلحي من خلال تدبر سياق الحال، ولعل آيات تحريم الخمر وتدرجها تبعا لسياقات مختلفة ومتتالية مثالٌ صريح على اعتبار الحكم الشرعي للسياق ومتلقيه واعتبارات أخرى، في حين نجد أن المتشددين دينيا لا سيما أولئك الذين تعلموا الشريعة الإسلامية وفهموها بتعجلٍ دون تدبر وروية للحكم الشرعي ومقاصده.

وملمح آخر لدى هذه الفئة التي تشددت برز في سطحيّة التحصيل اللغوي عندهم وتمسكهم بالفكر الشرعي الظاهري، **دون إعمالٍ للعقل والتدبر في شأو الحكم الشرعي ومراعاته للمستجدات وقياسه عقليا حسب الضرورات والمستجدات:**

"كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"(سورة ص. ايه 29.)" فالأمر إذا مقرونٌ بالتفكر والتدبر؛ إذ ورد بصيغة الخبر والاستفهام؛ ليكون أبلغ في التقرير وأدعى إلى التفكير، وإنما كان التفكير والتدبير وسيلةً لاستكناه حكمة الخلق والمصلحة التي تتضمنها أحكام الحقّ،

[1] من هذه البرامج التعليمية الخاصة برنامج كاسا (Casa) وبرنامج كلية مدلبري (Middlebury college)

فالتفكير إعمال النظر والخاطر، والتدبّر النظر في مآلات الأمور وعواقبها" (بن بيه، 2006، ص36) ويرى الباحث أن هذه الفئة التي استخدمت النص القرآني تعرّضت لتوجيه من قبل معلّم غير معد مؤسسيًا تعوزه خبره بيدغوجية نتج عنها تحريض وإغلاق للفهم والاستيعاب الذي يحتاج إلى سبر غور التركيب اللغوي لفهم القصد الدلالي، فتعليم العربية لا يعني شرح معنى المفردات والقواعد التركيبية واستخدامها في المواقف اللغوية وحسب، بل يعني فهم يصل إلى التدبر وتحسّس المعنى المُحيّن والمستور ببلاغة تحتاج إلى تفطّن وتدبر، وعلى ذلك لن يكون الفهم السطحي العام سوى استخدام تواصلي يبقي مستخدمه بعيدا عن اللغة العربية ظواهرها ومعانيها الخفية.

يقينًا فإن اللغة العربية غير منتشرة في المستوى العالمي كالإنجليزية التي صار أمر تعلمها شأنًا سهلًا ما يعني توسّع مستويات تداولها وتداخلها في كل الشؤون الإنسانية...، إذ الانجليزية اليوم لغة عالميّة وسيطة الاتكال عليها لم يعد تزودًا أو تطاولًا بل حاجة ملحّة تقضي أغراضًا يومية لمن يُحسِن تداولها، فقد جعلت العالمية اللغة الإنجليزية لغة العصر التي تدخل في كل مجالات الاتصال والتواصل الحياتي، في وقتٍ حُصِر فيه استعمال لغات أخرى على سياقات محددة؛ منها اللغة الايطالية التي يأتي وجودها حاجة ملحة حين يتعلّق الأمر في الطعام الإيطالي، وكذا الفرنسية حين يكون السياق الحديث عن أفخم الموديلات والعطور الفرنسية...والشأن ذاته مع اللغة العربية، إلا أنه وعقب أحداث 11 سبتمبر أُقتصر ظهور الحرف واللفظ العربيين عالميا في سياق الحديث عن الإسلامفوبيا، وكذا في سياق التداول السياسي، ولعل هذه **الغاية** هي من ولّد هذا **الغرض** من تعلم العربية حين أصبح تعلمها **حاجة** دولية ملحّة دفعت المعاهد والمراكز والجامعات العالمية لزيادة عدد المبتعثين لتعلّم العربية لأغراض سياسية في غبّها ينطوي الغرض الديني بعمومه وغرض العبادة على نحو خاص.

غاية= التعرف إلى مفاهيم الجهاد والدعوة والصوم والزكاة عند المسلمين.

حاجة= وجود محللين يتقنون العربية، وكذلك التواصل مع أبناء اللغة سواء المتشددين منهم أم المعتدلين.

غرض= تعلم اللغة العربية من خلال بغية فهم الدين الإسلامي والعبادة عند المسلمين.

بدايةً لم يكن غرض العبادة حاضرًا عند متعلمي العربية من قبل، واقتصر تعلمها في الشأن الديني على ترجمة النصوص الواردة في كتب الفقه وأصول الدين والعقيدة وهو ما كفاهم عناء تعلّم لغة أخرى صعبة، وفي هذا الصّدد حذّرت بعض الدراسات من تفشي هذه الظاهرة(مختار، د.ت، ص11) التي تُقصر تعلم العربية على الشأن التواصلي العام. فقد أربكت هذه الإشكاليّة أبناء العربيّة أنفسهم؛ فكان ثَمنُ التفريط في لغة الضّاد كبيرا فترك أثره على العادات والموروث اللّغوي العربي، فاليوم ثمة فئة غير قليلة من أبناء العربية منخرطة في تكنولوجيا العولمة ومتطلبات مهارات القرن العشرين التي تتطلب دقةً وطلاقةً وبمستويات متقدمة لمن يتحدثون باللغة الانجليزية، وهو هنا سببٌ واضحٌ في الابتعاد عن جذوة اللغة العربية وعن بلاغة الاتصال والتواصل الخاصة بها، وهو ما نَجمَ عنه تبعات خطيرة على اللغة العربية وثقافة اللّغة العربيّة، فتعلم العربية آليًا بالاتكاء على منصات الترجمة وتطبيقاتها يبعد العربية ذاتها عن التواصل والاتصال الاندماجي بها، ويجعلها لغة مرقمنة لا غير، إذ الحاجة اليوم ماسة لتفعيل العربية وربطها بالموقف والسياق والأحداث كما حدث في مونديال قطر 2022.

بالعودة إلى أقطاب العملية التعليمية: المعلم والمنهج والمتعلم نجد أن واضعي المناهج- وهم معلمون بالضرورة- أصابهم الخلط بين جمهور متعلّمها سواء أكانوا)متعلّمها للحياة(أم)متعلّمها لأغراض خاصّة(إذ لكل غرض منهما ظروفه ومقتضياته، فالحاجة اليوم ماسة لوضع منهاج خاص بـ (اللغة العربية في العمل)، لتفرض على فئة العمالة الوافدة كشرط يلزمها الإحاطة بأساسيّات اللغة العربيّة فيسهل عليها لاحقًا الانخراط في سوق العمل، إذ سيساعد هذا المنهاج التعليمي الخاص على تقليص حجم الهوّة فتصبح اللغة العربية متطلبا ملزمًا وليس تزوّدًا، ويضاف إلى ذلك أن جلّ هذه المناهج المُصنّفة تبعا لواضعيها إلى مستويات: المبتدئ والمتوسط والمتقدم تفتقر لاختبار تصنيف المستويات(Placement test) واختبار التحصيل اللغوي(Exit test) وهنا يطرح السؤال أين هي اختبارات المستوى في إتقان العربية على غرار ما نعرفه من اختبارات التوفل والايلتس وسواهما؟ ولماذا لا تُوحّد الجهات المسؤولة والقائمة جُهودَها فتتفق على اختبار معياري تصنيفي يراعي أغراض المتعلمين المتنوّعة ومستوى تحصيلهم اللغوي من العربية.

نحن نسلّم بجدارة اللغة العربيّة كلغة إنسانيّة لكلّ البشر، شريطة أن تُتاح للناس فرصتهم في تعرُّفها في جوّ اتصالي معدّ، وممّا يعضّد ميلنا هذا ما تضربه بعض الدّراسات من نماذج وأمثلةٍ من التراث العربيّ لقاماتٍ مشرّفة من غير العرب نسبًا ضلعت في علوم العربيّة لدرجة فاقت بها أهلَها (ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201)، كالفارابي والزّمخشري وغيرهم. ناهيك عن أهل الأندلس الذين فاقوا في بعض الأحايين العربَ أنفسهم في تعمّقهم في الأدب والشعر وفي علوم القرآن من تفسير وفقه وقراءات ونحو.: "فمن الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملّة الإسلاميّة أكثرهم من العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقليّة إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربيّ في نسبته فهو أعجميّ في لغته ومرباه ومشيخته، مع أنّ الملّة عربيّة وصاحب شريعتها عربيّ"(ابن خلدون، ص363)، فهؤلاء تعلموا العربية كلغة دين أولًا مكنتهم بعد ذلك هويّتهم الإسلامية من البراعة والتقدم والسمو.

إنّ هذه الأمثلة وغيرها ذات دلالة قويّة على أنّ هؤلاء العلماء نالوا هذه المرتبة متداولين اللغة العربية فصاحةً وبيانًا، فقد برعوا في تعلّم العربية وفي إتقانها على أعلى مستويات التعلّم، وإنّ هدفهم في ذلك كان (التعمّق في العلوم الدينية) كون العربيّة آنذاك احتلّت مكانة مرموقة في التراث العلميّ الإنسانيّ، **فالباعث الدينيّ العقديّ عندنا كان له السبق في تبرير إقبالهم و إتقانهم المتفرّد لها**، "ما يجلّي للباحثين حقيقة هذا النجاح الرّائد الذي

يدعو البحث للتأسّي به (ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201).

ومن دوافع هذا الطرح أيضًا عوامل جديدة طرأت على العالم أدّت إلى بروز مطلب تعليم العربيّة لأغراض خاصّة من عوامل سياسيّة وجغرافية كلنا كنّا شهودًا عليها، وكذا بروز اتجاهات جديدة في الدّراسات اللغوية من مثل تحليل الخطاب، وخصائص اللغة في الكتابات العلمية والأدبية والاقتصادية والسياسية والإسلامية إلخ... وتحوّل الاهتمام إلى حدّ ما من الخصائص العامّة للغة العربيّة إلى الملامح المميّزة للكتابة في مجالات خاصّة، ومنها شعور الوافدين من غير الناطقين بالعربيّة والدارسين في أقسام اللغات الشرقية سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، والدراسات الدينيّة في الجامعات الأجنبية أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى تعلّم العربيّة للحياة، قدر حاجتهم لتعلّمها لأغراض الدراسة الأكاديميّة المتخصّصة (طعيمة، 2018) منها كما ذكرنا الغرض الديني بغية فهم العبادات عند المسلمين أصولها وأركانها.

❖ **إمكانيّة الاقتداء بالمناهج الأخرى:**

منذ بزوغ الحاجة إلى تأطير تعلّم العربيّة ضمن برامجَ وأغراضٍ خاصّة ظل هذا الاتجاه واحدًا من ميادين البحث والنّظر النشطة يحاول التّوالد والتّناسل طمعًا في بلوغ نتائج تُشفي طموح منتسبيه، وبروزه كامتدادٍ لظهور "المذهب التواصليّ في تعليم اللغة الثانية، وما صاحبه من انتقال من الآراء السّلوكيّة والبنيويّة إلى الآراء المعرفيّة العقلانيّة، والتّركيز على الأداء التواصليّ للغة بدلًا من الأداء النّحويّ لها، والمتعلّم كمحورٍ للعمليّة التعليميّة بدلًا من المعلّم، والاتّجاه نحوَ الموادّ التعليميّة الأصيلة بدلًا من المصنوعة" (مجموعة مؤلفين، 2018)، فالعربية بحاجة لأن تتصل بالمعطى اليومي وإلا لظلّت حبيسةً الماضي.

وعلى الرغم من أنّ المختصّين في مجال تعليم العربيّة للناطقين بغيرها وجدوا في نظريّة الأغراض التعليميّة الخاصّة ضالّتهم، وتضافروا لانتهاجها مسلكًا جديدًا يتعاورون فيه دراساتِهم التطبيقيّةَ ويعقدون لأجله مؤتمراتٍ رصينةً، تعبيرًا عن حبّ كبير تجاه العربيّة وإرادة عمليّة في رفعة شأنها أمام متعلّميها. إلاّ أنّ المطّلع على ما أُنتج في هذا المجال من الجانبين النظريّ والتطبيقيّ يلتمس نقصًا في متابعة تطوّراته ورصد تجاربه وتطبيقاته؛ كون بواكير هذا الاتجاه ظهرت في الجهود اللّسانية لدى علماء اللغات غير العربيّة في أوروبا وأمريكا لنشر لغاتهم، ولتعلّم اللغات الأخرى بطريقةٍ أبسطَ، حيثُ "تمّ تخصيص مخابرَ للتوليد المصطلحيّ وللترجمة، وأخرى لتحديد مفاهيم المصطلحات الجديدة ومجالاتها المعرفيّة الخاصّة. كما جرى تدريس اللغات المختصّة في المؤسّسات التربويّة والجامعيّة، وذلك حتى تبقى اللغةُ حيّةً في أذهان الأجيال الصّاعدة، مستجيبة لأسئلة الرّهان وتحدّيات المستقبل.

أمّا تدريس اللغة العربيّة للأغراض الخاصّة باعتبارها لغة اقتصاد، ولغة حاسوب، ولغة فضاء، ولغة قانون، ولغة طب، ولغة كيمياء، ولغة صيدلة، فهو أمرٌ يكاد يكون قاصرًا في العالم العربيّ اليوم"(الجمعاوي، وطعيمة، والناقة، 2003) كما أسلفنا؛ ذلك لأن حاجته نمت بدايةً هناك وليس هنا، وعليه فالجهود العربية في هذا المجال محدودة ومتواضعة يعوزها اللّحاق بركب التطوّر، عدا عن كونها متأخّرة وتالية ومرتكزة حول ميدان النّظر الغربيّ وليس العربي المسلم الذي يرى في دينه الحنيف السبب الأهم في عالمية اللغة العربية وفي حفظها من التلاشي.

وهنا يطرح التسآل عن الكيفية التي تصعد بالعربية لتصبح لغة إنسانية طامحة وجامعة ومُستقطِبة؟ أليس هو قرآننا الكريم الذي التصق اسمه بصفة الكرم كقيمة إنسانية كبرى، إنها قيمة الإخاء والتسامح والعفو، فهو الذي حفظ العربية ومكّنها من منزلتها العالمية بعد أن حمل قيمًا إنسانيةً مكّنت الدين الإسلامي من المكوث والتمدد دون فرضيات منطق القوة لذا فهذا البحث يؤسس لبناء منهاج لتعلم العربية يجلي مضامين الثقافة الإسلامية ويقدمها بصورتها الحقيقة.

- **تعليم العربيّة للغرض الدّينيّ:**

العِلاقة بين اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة:

تعدّ اللغة وعاءً للثقافة والوسيلة الأولى للتعبير عنها، وإنّ الثقافة بناءٌ صارمٌ يؤسّسه المجتمع وفق تصوّره عن نفسه، أو هي "الأسلوب الكلّيّ لحياة الجماعة، الذي يتّسق مع تصوّرها العامّ للألوهيّة والكون والإنسان والحياة" (مدكور، 2006، ص27). على أنّ عرى الانسجام بين اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة على نحوٍ خاصّ عميقة ومتجذّرة؛ "فاللغة العربية وثقافتها يسيران يدًا بيد، ومن العسير على دارسٍ أجنبيّ أن يفهم اللغة العربيّة فهمًا دقيقًا أو أن يستخدمها استخدامًا جيّدًا دون أن يفهم ما يرتبط بها من مفاهيم ثقافيّة معيّنة"(الشيخ، 2003، ص125)؛ وهذا ما يعوزه متعلموها من غير أبنائها، وذلك كونها اللغة التي اصطفاها الله تعالى لتكون لغة القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، وهي لغة التفسير، والفقه، والقراءات، والفلسفة الإسلاميّة، **فلا يمكن بحالٍ لدارس التراث الثقافيّ الإسلاميّ أن يلتمس فهمًا لهاتيك العلوم سواء تعمّق فيها أم اكتفى برسم فكرة تصوّريّة دون بلوغ مستوىً مرضٍ من إتقانه لقواعد صياغة مفرداتها وتراكيبها وأساليبها، وصناعة دلالاتها وسبكِ أنساقها، والمراس بملكة فهمها وتفهيمها (ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201)**، وهو ما يعني قصورًا عند بعض متعلميها الذي لم يلتحقوا بمعاهد متخصصة تضم كُتبًا ومقررات وضعت على أسس ومعايير علمية تراعي التحديات اللغوية والتعطل اللغوي والمهارات الأربعة والفروق اللغوية.

اللغة ظاهرةٌ ثقافيّة، ولعلّ أوّل من فطن لهذه الحقيقة هو رسولنا الكريم بقوله: **"ليست العربيّة لأحدكم بأبٍ وأمّ، و إنّما العربيّة باللسان، فمن تكلّم العربيّة فهو عربيّ"، هذه هي رحمة الدين الاسلامي وهذه هي عالميّته التي أسّس لها الرسول الكريم**. فالثقافة الإسلاميّة عن طريق اللغة توحّد

مشاعر المسلمين تجاه الحدث الواحد مهما تفرّقت بهم القارّات، وتباعدت المسافات(مدكور، طعيمة، هريدي، 2010، ص347.). وعليه، فإنّ اللغة والهوية الدينية وجهان لعملةٍ واحدة في الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أنها ثقافة لها أصالتها المتجذّرة في أعماق الماضي، ولها أبعادها الفكرية الرامية إلى الارتقاء بالإنسان فكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، هي حقّ متاح للأفراد جميعًا، ومُشاع للمجتمعات كافّة، والعربيّةُ وسيلةٌ لفهمها وتمثّلها.

الجمهور المستهدَف في تعلّم العربيّة لأغراضٍ دينيّة:

ولمّا كان الرابط بين العربية والثقافة الإسلاميّة وشيجًا فإنّ عددًا كبيرا من الطلبة المقبلين على تعلّمها تحرّكهم دوافع دينيّة، وتؤكّد ذلك بعض الدراسات في إشارتها إلى أنّ هذه الدوافع هي أقوى محرّكات الدارسين لتعلّم العربيّة، إذ تشير إحداها إلى أنّ 81% مثلًا من من أفراد العيّنة المبعوثين للدراسة في الأزهر ترغب في دراسة اللغة العربيّة للدّافع الدّينيّ(غزالة، 1987، ص4. والناقة، 1985)، وتؤكّد نتائج الاستبانة في دراسة أخرى على أنّ هناك اتّفاقًا بين المعلّمين والطلبة حول أهميّة جوانب الثقافة العربيّة الإسلاميّة التي تضمّنتها الاستبانة التي ينبغي أن تتضمّنها كتب اللغة العربيّة للطلاب الوافدين، ثمّ نرى ضرورة دمج جوانب الثقافة العربيّة الإسلاميّة في محتويات كتب اللغة العربيّة للناطقين بغيرها ليستفيد الدّارس بها من ناحية، ويدرك العلاقة الوثيقة بين اللغة العربيّة وعلوم الشّريعة الإسلاميّة(عبده، 2000).

على أنّنا ألفينا أنّ الحاجة في تضمين مكونات الثّقافة العربية في مقرّرات تعليم العربيّة للناطقين بغيرها لا ينبع فقط من الارتباط الوثيق بين هذين المكوّنين وأنّ أحدَهما هو وجهٌ للآخر، بل يتأتّى من النهج الحديث السّائد في تدريس اللغة الثانية الذي يؤسَّس على "الاهتمام بتعليم الثقافة كالاهتمام بتعليم الطالب المهارات اللغوية الأربع: الاستماع، والحديث، والقراءة والكتابة، tمن النّادر أن نجد كتابًا يتناول تعليم اللغات الأجنبيّة ولا يتعرّض لتعليم الثّقافة أو لتقديمها، ذلك أنّ الفهم الثّقافيّ أصبح أمرًا لا مفرّ منه في تعليم اللغات الأجنبيّة، بعد أن ثبت أن الخلفيّة الثّقافيّة أساسيّة ومهمّة لفهم اللغة والسّيطرة عليها، بل إنّ الفهم الثّقافيّ يعمّق ويُغني في الفرد اللغة التي يتعلّمها" (الشيخ، 2003، ص127). فالثقافة الاسلامية هي جوهر اللغة العربية وعمقها الاستراتيجي.

ولسائلٍ أن يسأل عن فئات الطلبة المقبلين على تعلّم العربيّة للغرض الدينيّ خاصّة، وعن اتجاهاتهم الفكرية، والمسوّغات التي دفعتهم لتعلّمها، وهل شكّل الدافع الدّينيّ مطلبًا لذلك من غير المسلمين أيضًا أو أنّه كان وقفًا على مسلمي العالم في الدول المسلمة كماليزيا، وإندونيسيا، وأذربيجان، وطاجكستان، وكازاخستان، وأوزباكستان، وتركيا وغيرها، وعلى مسلمي إفريقيا مثل نيجيريا، والسنغال، والنيجر، وغينيا...، وعلى مسلمي أوروبا مثل ألبانيا، وكوسوفو، والبوسنة والهرسك وغيرهم؟!

إنّ من بين متعلّمي العربيّة من ينتمون إلى الفئات الآتية:

1- المسلمون من غير العرب الذين يتعلمون اللغة العربيّة لغرض إسلاميّ محض، فاللغة بالنسبة لهم هي **(لغة العبادة)**، وبها يتسنّى لهم فهم القرآن الكريم والحديث الشّريف، وحتّى يتمكّنوا في ضوء ذلك من ممارسة الحياة الإسلاميّة، وهم الفئة التي أشرنا إليهم بداية فأحسنَ بعضُهم العربية من خلال تعلمها من أشخاص وجماعات دون منهج تعليمي مقرر أو فلسفة تدريسية واضحة أو اختبارات تحديد مستوى تركن لأسس بيدغوجية واضحة.

2- المسلمون من غير العرب؛ وهم القادمون لغرض متابعة دراستهم الجامعيّة في الجامعات العربيّة، فهم يقبلون على العربيّة لأنّها (لغة التّعليم والبحث العلمي والاستشراق).

3- العرب المسلمين من فئة (**وارثو اللغة**)؛ فقد أتقن هؤلاء اللّغة الثانية وتراجعت اللّغة الأم على ألسنتهم، وحين أتيح لهم تعلّم العربية من خلال الوالدين وتعلم قراءة القرآن في المسجد تولّد لديهم فهم واستيعاب يركن لظاهر النص وليس لمعانيه ومقاصده العميقة التي تتطلّب تفسيرا وتحليلا لا يتأتى إلا لمختص في الخطاب القرآني وتفسيره وتعليله.

4- الرّاغبون في الاتّصال بالبلاد العربيّة لوجود بعض المصالح المشتركة، مثل الهيئات الدبلوماسيّة، والعلاقات التّجاريّة(الشيخ، 2003، ص127).

ظهرت الفئة الثالثة مع ظهور الجيل العربي الثالث في المهجر، فصار لدينا جيل عربي بلسان أعجمي، فتزامن ذلك مع تغيرات عالمية كبرى نتيجة العولمة والحروب على الإرهاب التي فرضت واقعًا ديمغرافيا مختلفًا وصار الغرب بحاجة إلى تعرُّف اللغة العربية وثقافة هذه اللغة، فحشدت الجهود نحو برامج تعليم اللغة العربيّة لأغراض مختلفة منها الغرض الديني، فاتّسع الاهتمام بتعلّم العربيّة وتعليمها، ومن هاتيك المتطلبات التي فرضت نهاية القرن الماضي، فاحتلت اللّغة العربيّة موقعًا مهمّا في خريطة العالم الجديد فجاءت في المرتبة الثانية بعد اللّغة الروسية، تليها الصينيّة، فالكوريّة، فالفارسيّة، فالصّوماليّة... ثمّ الألبانيّة، فالصّربيّة، فالأرديّة، فالهنديّة، وغيرها من لغات غرب وشرق إفريقيا(ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201).

ثمة عاملٌ آخرُ متمثّلٌ بازدياد الاهتمام بالمنطقة العربيّة اقتصاديًّا، وتدفّق الأعمال والعمّال من الدول الأوروبيّة والآسيويّة إلى المنطقة العربية الخليجة تحديدًا، فقد توزّع الوافدون على قطاعات العمل مثل شركات البترول، وقطاع السيّارات، وقطاع الأعمال الحرة والصّحّة، ووسائل الاتّصال

(الشيخ، 2003، ص195). وهذا ما فاقم الحاجة لتعلّم اللغة العربيّة كونها ركنٌ أساسيٌ من أركان المجتمع المستوعِب لهذه الأعداد فصار شرط إتقان اللغة ال عربية في بعض الوظائف، على غرار شروط دائرة الهجرة والجنسية في الولايات المتحدة الأمريكية

مؤخرًا تولّدت الحاجة عند السياسيين الغربيين إلى فهم اللغة العربية من خلال وجهها الآخر المتمثل بالدين الإسلامي، ليس فقط الشريعة وأصول الدين بل أضيف إليها العبادات وفقهها، فسلوك المسلم يصدر من الشريعة الإسلامية لكن أشكال العبادات: الصلاة والصوم والزكاة والحج والنذر وحلف الإيمان والأضحية في عيد المسلمين وعند العقيقة والهدي في الحج هي ظاهرة لغوية، إذ إن هذه الأشكال من العبادات تمثّل سلوك المسلم وتنشئ مواقف لغوية يوميا يحتاج المتعلم غير الناطق بالعربية إلى فهمها وهو يندمج في بيئة العربية ومجتمعاتها، بل وتشكل كذلك الأمر ثقافة اللغة العربية وسمتها، فتعلم العربية من خلال غرض العبادة الخاص يحقق للدارس هدفين: فهم الثقافة العربية، والسّيطرة على الجانب اللغويّ، فيتأتى له التّعمّق ليس فقط بالعوام النظرية الخاصة بدراسة علوم الدين بل وفي فهم طرق التعبير اللغوي ومحاذيره وسياقاته على تعددها.

.

الموضوعات الدينية والثقافية التي يُبدي الدّارسون اهتمامًا بها:

يحتلّ المعلّم مكانة مركزيّة في العمليّة التعليميّة، إذ يشكّل أمثولة يقتدي بها متعلمو اللغة الثانية فتقع على عاتقه مهمّة تمثيل منطقته العربية بثقافتها ووعائها اللغويّ ووعيها وفلسفتها. فهو متقيّدٌ بالمنهاج الذي يدرّسه وبالموضوعات التدريسيّة التي يعرضها للمتعلمين التي غالبًا ما يتم اختيارها لتكون موضوعات تشمل الثقافة والبيئة الحاضنة للغة العربية ولتاريخها وثقافتها المجتمعية. وقد أجرى طعيمة استبيانًا في برامج تعليم العربيّة لغير الناطقين بها لبيان مدى عرض المحتوى الثقافي في المناهج، وقد طبّقه على عدد كبير من دارسي العربيّة في مكّة المكرّمة والرّياض، ومن الموضوعات الثقافيّة التي وردت في الاستبيان: (مفهوم الإسلام وأركانه، القرآن الكريم: نزوله وجمعه، تفسير القرآن الكريم، إعجاز القرآن الكريم، القراءات وأصول تجويد القرآن، ترجمات معاني القرآن الكريم، السنّة النّبويّة: جمعها، تدوينها، مكانتها في الإسلام، سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم) (مدكور، طعيمة، هريدي، 2010، 634. ص7).

وإن كانت هذه العناوين تقع ضمن اهتمامات دارسي العربيّة من أبناء الدين الإسلامي، فإنّ دائرة النّظر لدى غيرهم من طلبة السياسة، أو الإعلام، أو الديانات، أو القانون، ترتكز على محاولة الإلمام بحقائق الثقافة الإسلامية الكبرى في كليّتها، من مثل: (إدراك التصوّر الإسلاميّ لحقيقة الإنسان ووظيفته في الحياة، وفهم حقوق الإنسان في الإسلام وممارستها، والتّصوّر الإسلاميّ لنظام الأسرة، وإدراك طبيعة المجتمع ومكوّناته، وفلسفة المجتمعات الإسلامية وخصوصيّة عاداتها في حالات الزواج أو الوفاة أو الميراث، الدين والسياسة،...) (مدكور، طعيمة، هريدي، 2010، 634. نقلا عن بحث الثقافة الاسلامية، ص7)

وممّا تجدر الإشارة إليه في الحديث عن مركزيّة الطّرح الموضوعيّ المنطلق من الثقافة والثقافة الإسلاميّة على وجه الخصوص في تعليم العربيّة للنّاطقين بغيرها من المسلمين مدى تأثيره في وعيهم وسلوكهم لاحقًا، فقد أثبتت نتائج بعض الدراسات أن تعليم العربية لمتعلميها الأجانب: المسلمين وغير المسلمين هو أحد عوامل انتشار (الإسلام الوسطيّ) كما يحدث في المعهد الدّينيّ (Pondok Pesantren)، الذي هو مؤسّسةٌ تعليميّةٌ لها دورٌ استراتيجيٌّ للغاية في عالم تعليم اللغة العربيّة والإسلاميّة في إندونيسيا، وغيرها من المعاهد التي ترغب **في تعميق معرفة المتعلمين باللغة العربيّة والعلوم الدّينيّة، فقد اهتم المعهد وعلى نحو دقيق بتكوين وتربية (شخصيّةٍ إسلاميّة معتدلة ووسطيّة) وفقًا لتعاليم القرآن والسنّة وموادّ العلوم الشّرعيّة نحو: الفقه، والعقيدة، والتصوّف وغيرها، وقد أثبتت النتائج أنّ بناء الشخصيّة الوسطيّة كان من خلال تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة لدى الطلبة في المعهد الديني؛ وذلك من خلال ما رافق العملية التعليمية من قراءات خاصة ومتركزة في كتب التراث، والنشاطات الدينية واللغويّة، والنّدوات، والمناقشات الممنهجة من قبل مجلس الأساتذة وهيئة التدريس المتخصّصة[2]؛ مثل هذه المعاهد تقدم محتوى قرائيًا وتدريبات ونشاطات صفية مبنية على أسس ومعايير دولية كمعايير (أكتفل) والإطار الأوروبي المرجعي(CEFR) إذ المحتوى معرفي والمستوى اللغوي وضروبه متعددة ومتجانسة، كما أن الصفوف مجهزة ومعدّة بما يلزم، كل هذا أحدثَ فارقًا عن المناهج التي تضم محتوى أُحاديًا غير موجه ومخطط له، فالمعلّم غير المدرّب سيكتفي بشرح النّص دون خبرة خاصة في طرق التدريس والتعامل مع النص وتدريباته وشرح بلاغة المعنى واللفظ والتركيب تواصليًا... فيقوم بعملية تفسيروتأويل غير مفعمة تواصليا، تخص ايدلوجيته؛ ليقدم تفسيره الذاتي وليس المجتمعي اللغوي، أو يقدم شرحا غير دقيق بسبب عدم جهوزيته الفنية، فمنهاج "كلمة ونغم" منهاج بني على أساس ثقافي جمعي راعى الموضوعية والاعتدال ولم يفرض أي لون ايديولوجي على الطالب من خلال المحتوى المقدم.**

أمّا عن الكيفيّة التي من الممكن أن تقدَّم بها موضوعات الثقافة الإسلاميّة الموجّهة لدارسي العربيّة من الناطقين بغيرها (من المسلمين)،

[2] انظر: بناء الشخصيّة الوسطيّة من خلال تعليم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة لدى الطلبة في المعهد الدّينيّ (Pondok Pesantren) منبع الصالحين7 ببنتان أرخبيل رياو، المؤتمر الدولي للغة العربيّة وآدابها وتعليمها، قسم الأدب العربي جامعة مالانج الحكوميّة.

فنقترح أن تستمد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ومن سير الصالحين والعظماء، والتاريخ الإسلاميّ، والنّصوص الأدبيّة الإسلاميّة التي تتركز على أحوال الشخصية وسلوكها ولا تنحسر عن القضايا العقدية والفقهية فتنطلق من الاختيار الهادف لموضوعات نصوص القراءة والنّحو والمحادثة والإملاء والخطّ...، وعلى أن يقدَّم ذلك كلّه أيضًا دون مبالغة أو تكلّف يظهرها بمعزل عن سياق التعلم والاندماج الثقافي، مع مراعاة مستويات الدّارسين وثقافاتهم وإلمامهم اللغويّ قبل التوجه نحو الغرض الخاص، وذلك بما يحقّق ثروة لغويّة لدى الطلبة، فيرفع قدراتهم التعبيريّة، ويمكّنهم من تذوّق الجمال اللغويّ الكامن في الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فالضّرب اللغوي الذي يسمعه المتعلم الأجنبي في القرآن الكريم مهيّأ لأن يوظّفه المتعلم في تواصله اليومي، ذلك لأنه يجد في مرجعياته الدينية تشابهًا من حيث إمكانيةً استعمال بعض الألفاظ والمصطلحات الدينية في تداوله اليومي.

بيد أنّ عملية اختيار الأمثلة والنّصوص وطريقة إخراج الصّور والرّسوم وطرح الموضوعات في المناهج التدريسيّة الموجّهة للطلبة (من غير أبناء الدّين) تحتاج إلى طرق تدريس لا تقتصر على الترجمة، والتلقين، وتسهيل القواعد اللغوية، وتكرار ما يسمعونه، بل على انغماس لغوي(Linguistic Immersion) يراعى فيه الطلبة من المستوى المبتدئ حتى المتقدم.

من الأمثلة الرّصينة في مناهج تعليم العربية لأغراض دينية (سلسلة العربية بين يديك) الموجّهة لمتعلمي العربية من المسلمين وغيرهم والمندرجة تحت شعار الغرض الدينيّ بمفهومه التشريعي وغرض العبادة بمفهومه السلوكي والأدائي، سواء أكانوا منتظمين في جهات أكاديمية أم غير منتظمين يدرّسون أنفسهم على نحو ذاتي، وذلك لكونها سلسلة تنداح ضمن أربعة أجزاء تبدأ من الصّفر وتنطلق بالدّارس قدمًا، بالإضافة إلى كونها مشفوعة بمادّة صوتيّة تمكّن المتعلمين من تنمية مهارة الاستماع، وتستعين بلغة الصّورة، ذ11وتضبط النصوص على نحو كامل، كما أنّها تتضمّن قوائم واضحة بالمفردات والمفاهيم الثقافية الجديدة، بالإضافة إلى نشاطات انغماسية وتفاعلية داخل الصفّ وخارجه.

وجدير بالذكر أنّ هناك بعض مواقع الإنترنت الداعمة لمتعلمي العربية وفق النموذج اللغوي الديني التي يجدر أن تُصاغ مجددًا فيراعى فيها بناء منهجي حقيقي يُعلي من قِيم الدين الإسلامي السمحة، ويصيغها في التعلم البيدغوجي فيحقق لمتعلميها فهمًا سليمًا صائبًا ومعتدلًا للدين الاسلامي قبل اللغوي، مع علمنا بدور متحدثي العربية من أبنائها في إيصال رسالة الإسلام الحقيقة إلى أصقاع الأرض عبر تواصلهم بها ممثلين ثقافتها الاسلامية الحقّة.

العِبادة في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

على الرغم من أن المنهج الذي بين أيدينا يحمل عنوانًا لا يشير إلى أي شعيرة من شعائر الدّين الإسلامي وهو منهاج "كلمة ونغم"(ابو حاكمة، 2016) إلى أنه مصممٌ ليكون محتواه مشبعًا بالظلال الثقافية والأبعاد الاجتماعية لمجتمع مستخدمي اللغة العربية، لذا وجب التركيز على الجانب الديني ولاسيما العبادات ومنها الصوم، ففي الوحدة الدراسية التاسعة التي حملت عنوان **"أجواء في الذاكرة"**، حرص واضعو المقرر التعليمي هذا على أن يتم توظيف النّص الديني عند تناول جوانب من الحياة الاجتماعية اليومية للإنسان العربي المسلم التي منها فريضة الصوم، ففي عنونة فرعية داخل الوحدة التاسعة وضع عنوان "الصوم في القرآن والإنجيل" بحيث بدئت الفقرة بالأية القرآنية "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ (183)أَيَّاما مَّعدُودٰت فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَو عَلَىٰ سَفَر فَعِدَّة مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدية طَعَامُ مِسكِين فَمَن تَطَوَّعَ خَيرا فَهُوَ خَيرٌ لَّهُۥوَأَن تَصُومُواْ خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ (184) (سورة البقرة. الآية رقم: 183-184.)

وفي الانجيل: "...، يقول الرب، ارجعوا إليّ بكل قلوبكم/ وبالصوم والبكاء والنّوح"(سفر يوئيل: 2:12.)

ثم أُتبع بنص آخر من التوراة يحثّ المؤمنين به على الصوم أيضًا. لقد جاء هذا التضمين للآيات القرانية ضمن درس يراعي المحتوى الثقافي بكامل جنباته، بحيث لا يعد الشأن الديني شأنًا خاصًا ومعزولًا عن متعلمي العربية بل الدين من ثقافة اللغة العربية التي يعني تعلمها من دونها أمرًا عسيرًا، هذا فضلا عمّا تشير إليه هذه التضمينات والنصوص التي تقدم رؤية دقيقة عن أبرز فريضة في الدين الإسلامي تحديدًا ألا وهي الصّوم؛ وهنا وتبعا للنص المتضمن لفريضة الصوم، يظهر الصوم على أنه ليس فرضًا على المريض وعلى أصحاب الأعذار الشرعية، وهو ما يدل على تسامحيّة النّص الديني وعدم تشدده، فقد قدم هذا المقرر التعليمي صورًا من التعاضد في المجتمع الإنساني الواحد وعكس أجواءً احتفالية وطقوس خاصة بهذا الشهر الفضيل في المغرب العربي وقدّم صورًا لوجبات طعام من عدة أقطار عربية (إسليم، وابو حاكمة، 2016. ص337)، فقد سبق هذه الدراسة دراسات أخرى تعنى بثقافة اللغة بعيدا عن تعليم المفردات والنطق والقواعد والمهارات الأخرى وفق سياقها الديني. (ساتي ومسعود، 2015.ص298)

كل ذلك قُدم من خلال مادة لغوية تعتمد على توظيف النص التراثي بعد أن حرره من تقعره ونقله إلى مستوى التواصل والتداول، بل بمستوى لغوي معاصر ومتساوق مع الحاجات التواصلية العصرية، على أننا ندرك أن ثمة تراكيب مسكوكة تجري مجرى الأمثال الشعبية وتعليمها الذي لا يتوقف على إدراك البنية المعجمية والتركيبية النحوية بل سياق الاستعمال التداولي والموقف اللغوي؛ ففي شهر رمضان أمثال شعبية منها مثلًا "صام وأفطر على بصلة" والمقصود بهذا المثل ضياع نتيجة الجهد والوصول إلى نتائج سلبية، إذ تعليم هذا المثل الشعبي المتعلم بسياق شهر رمضان يتطلب منهاجا يدرك أهمية ثقافة اللغة وسياقها التداولي وإلى صف تفاعلي يوائم بين السياق والمثل الشعبي ويوظّفه على نحو حيوي ووظيفي (دحمان، 2019، ص262)

وهو ما يعني أن المقررات التعليمية الحديثة أدمجت الدافع الديني وخاصة العبادة في منهاج متكامل، والسبب أن الدّافع الديني لم يتراجع بل وضعت

له مقررات خاصة كسلسلة كتاب "العربية بين يديك"(الفوزان، وفضل. 2002) وكانت هذه السلسلة في مضامينها تهدف إلى تعليم المتعلم غير العربي كيفية أداء الصلاة وفضلها عند المسلمين...، إذ لم تقدم هذا الغرض بقصد الدعوة وحسب، بل من أجل تقديم تصور ممنهج وعلمي من أهل الاختصاص الموثوق بعلمهم، فقدمت أهم الألفاظ والعبارات والآيات التي يتم استخدامها تبعا لمقتضيات هذا الموقف اللغوي(العربية بين يديك. ج1 ص:115) وفي الكتاب من هذه السلسة وتحديدًا في الوحدة الحادية عشرة قَدّم واضعوا المنهاج نصًا حواريًا يهدف إلى تقديم فهم سليم وواقعي عن الدين الإسلامي؛ فعبر هذا التحاور بين "كارلس" و"أحمد" نجح الأخير في توصيل فكرته حول أن مفهوم الاسلام يتعرض للتظليل وأنه دين سمح ويقدم الحقائق ولا يزيفها ومنها أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميًّا ومتواضعًا.

أمّا في كتاب "كلمة ونغم" فقد كانت العبادات تقدم على نحو انغماسي غير محافظ، فتربط الصوم بالشعائر الدينية وما يصاحبها من مدائح وأدعية واستعمال الطبل من قبل "المسحراتي". لقد استطاع هذا الكتاب إكمال ما بدأه واضعوا منهاج العربية بين يديك فربطوا العبادة بالحياة اليومية ولم يجعلوها شيئا خاصا معزولا عمن سواهم من غير المسلمين، وهنا يمكن أن نضيف بأن تعليم الثقافة يفرض واقع استعمال اللغة الوسيطة البعيدة عن الفصحى وتقعراتها، "إذ واقع تعليم اللغة وثقافتها لا يعتمد على الفصحى بل يعتمد على السياق التداولي المعاصر ولغته بما في ذلك تدريس الأدب العربي" (Aljaafrah, 2007, p162).

وبين المقررين(كلمة ونغم والعربية بين يديك) وجدنا أن سلسلة منهاج العربية بين يديك قد حرصت منذ البدء على تقديم الدين الإسلامي على نحو وسطي ومعتدل، بيد أنها حافظت على اللغة العربية الفصحى في نصوصها وتمارينها فلم تجدد ألفاظها الدينية من خلال السلوك والعادات والتقاليد الدينية، فابتعدت بذلك عن ثقافة اللّغة وتداوليتها وهو ما حرصت عليه سلسلة "كلمة ونغم" وربطت النص الديني من خلال عرض العبادات على انها سلوك ولفظ متداول.

وهنا نشير إلى بعض الدروس في منهاج كلمة ونغم التي راعت العبادات في الإسلام وقدمت الألفاظ والعبارات المرتبطة بها، فتم استثمارها لتعليمها للطلبة سواء من أرادوا تعلم اركان العبادة نظرًا لمعتقدهم أم من غير أبناء الدين الإسلامي، فهم بحاجة إلى تعلم هذه العبارات والمفردات وتدولها في سياق الديني وغير الديني.

من الأمثلة التي استخدمت في منهاج "كلمة ونغم" لصالح تعزيز الحصيلة اللغوية لدى المتعلم الأجنبي من المفردات نسوق استثمار واضعي هذا المنهج لمفردتي الحلال والحرام، التي يعد تداولها مناسبًا للمستويات اللغوية كافة ابتداءً من المستوى المبتدى وحتى المتميز، فقط ورد في توصيف مهارة الكلام لطالب المستوى المبتدئ الأدنى في معايير اكتفل:

"ليس للناطق في المستوى المبتدئ الأدنى مقدرة وظيفية حقيقة، وبسبب نطقه قد لا يفهم نطقه، لكن إذا ما أعطي وقتًا وتلميحًا كافيين فقد يستطيع تبادل التّحية والتعريف بنفسه وتسمية عدد من الأشياء المألوفة في بيئته المباشرة، وليس باستطاعته أداء وظائف لغوية أو معالجة موضوعات تخص المستوى المتوسط لذلك لا يستطيع المشاركة في حوار حقيقي"

إلا أننا نرى أن لفظتي حلال وحرام يمكن نطقهما وتوظيفها في حوار قصير يحتاج زكما ذكر آنفا في توصيفات معايير آكتفل إلى تلميح كافٍ يعبر فيه المتعلم في المستوى المتدني هذا من خلال إحدى هاتين الكلمتين؛ فلفظة **حرام** قدمت في الدرس الثاني من الجزء الأول في كتاب كلمة ونغم ليس من باب تعليم العبادات والشريعة الإسلامية بل في سياق تداولي يحتاجه الأجنبي المسلم وغير المسلم، فقد وضع مؤلفو الكتاب عنوانًا فرعيا في الدرس تحت عنوان "ظلال ثقافية" ليوضح سياقات تداول لفظتي الحلال والحرام؛ فثمة مصاحبات لفظية لهما يتم التعبير عنهما في سياقات غير دينية من مثل:

فلان ابن حلال.... حرام عليك..... هذا حرامي(لص)..... فقد وُضع ولصالح تدوير هاتين اللفظتين تدريبات ميكانيكية لاحقة بهدف استعمال هذه العبارات المتضمنة للفظتي حلال وحرام في تمارين هدفها تنمية مهارة التحدث.

الخاتمة:

أوّلًا: لا يمكن لدارس العربيّة العكوفُ على تعلّم العربيّة لغرض خاصّ -سواءٌ أكان دينيًّا أو غيره- دون أن تتيسّر له إجادة قواعد صياغة المفردات والتراكيب والأساليب، وسبك الأنساق التعبيريّة، والمراس بملكة الفهم والتفهيم(ماهر، وسالم، ولقم، 2019، ص198-201)، بعبارة أخرى، ينبغي له أن يحقّق جزءًا حقيقيًّا من تعلّم اللغة يمكّنه من التعلّم الذاتيّ ومن ثمة الانطلاق إلى ما يدور في فلك غرضه الخاص من معجم دلاليّ خاصّ ومستقلّ وقائم بذاته.

ثانيًا: ثمّة فوارقُ كبيرةٌ بين البواعث الحاثّة لمتعلّمي العربيّة التراث العربيّ ومتعلّميها في الوقت الرّاهن؛ فقد كان أن تهيّأت للعجم قديمًا ظروفٌ مكّنتهم من إجادة العربيّة ونيل مرتبة عليا منها لدرجة فاق بعضهم بها أهلها؛ لأنّ دافعهم من ذلك آنذاك كان (التعمّق في العلوم الدينية والدنيوية) والتبحّر بها، فقد كانت العربيّة اللغةَ التي تُصاغ بها العلوم كافّة، ولن تتيسّر لدارس إجادتها دون إجادة العربيّة، لدرجة دفعت بعض المصنّفين الإسبان في الأندلس مثلا من التذمّر لما أصاب لغة اللاتين والإغريق من إهمالٍ من جرّاء الإقبال على لغة المسلمين بعد أن أسَرَتهم العربيّة وسَحَرهم (رنين الأدب العربيّ)

(بروفنسال، 1938). ناهيك عن العصور التي سبقت دولة الأندلس وارتباط اللغة فيها بالدين وإقبال الناس على تعلّمها وإجادتها كونها (لغة العبادة). أمّا في وقتنا الرّاهن فتتغاير الدوافع التي تبعث دارسي العربيّة، فلم يعد لهذه اللغة بريقُها الذي كان، وهدف شريحة كبيرة تعلّمُها مبسّطةً (للحياة)، أو بتعمّق (لدوافع أكاديميّة أو مهنيّة أو استشراقيّة).

ثالثًا: تتباين (فئات الجمهور) المستَهدَف من تعلّم اللغة العربية لأغراض دينيّة تباينًا كبيرًا، وينبغي ههنا أن يُصار إلى المنهج (المحتوى) الموجّه إلى كلّ فئة منهم، إذ يكتسب المحتوى مكانة مركزيّة تبعًا لتنوّع فئات الطلبة، وتكتسب (طريقة إخراجه وصوغ مفاهيمه) محورًا مهمًا من حيث ينبغي أن يُصار فيها إلى اهتمامات الطلبة واقتراحاتهم، وغرضهم من دراسة العربيّة؛ بل إنّ من الممكن أن يُطرح الموضوعٌ الدينيّ عينُهُ بطريقتين متباينتين تمامًا تبعًا لطبيعة المتعلّم الخاص، وانتماءاته، وغرضه من تعلّم العربيّة من خلاله. في الوقت الذي وجدنا فيه مناهج كمثل منهاج "كلمة ونغم" تصير العربية للغرض الديني على انها قابلة لتدرس لأغراض التداولي اليومي الحيّ.

رابعًا: ثمة مناهج حديثة راعت الدوافع الخاصة لدى متعلمي العربية من غير أبنائها، وراحت تقدم الغرض الديني وتحديدًا غرض العبادة بنسقية مختلفة تتفهم الممارسة الدينية وتعدها جزءًا من الثقافة؛ جزء ليس غريبا بل يمكن التقرّب منه واستيعابه كملمح ثقافي غير مغلق على الآخرين، وهكذا استثماره في فهم الثقافة العربية واللغة ذاتها، فمؤخرًا صار هناك ميل كبير لدى المؤسسات التعليمية لدعم البرامج الانغماسية في تعلم العربية التي تعمل على إدماج الطلبة بثقافة اللغة بالتوازي مع تعليمها وتدويرها في الاستعمال اليومي.

المصادر والمراجع

[1]القرآن الكريم

طعيمة، ر. (2003). *تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة: مفاهيمه ومنهجيّاته المشكلة ومسوّغات الحركة*، معهد الخرطوم الدّولي.

بن بيه، ع. (2006). *علاقة مقاصد الشريعة بأصول الفقه*. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي-لندن.

مختار، إ. (د.ت). اللغة العربيّة لأغراض خاصّة - اللغة العربيّة للعمّال الوافدين، *مجلّة الناطقين بغير العربيّة*، المؤسّسة العربيّة للتربية والعلوم والآداب، مصر، 4(11).

ابن خلدون: المقدمة، ج3. وانظر كذلك العقد الفريد، 3، 363.

مجموعة مؤلفين. (2018). تعليم اللغة العربيّة لأغراضٍ خاصّة: تجارب وتقويم: دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعوديّة.

[1]الجمعاوي، أ. (د.ت.). اللغة العربيّة للأغراض الخاصّة.

الناقة، م. (2003). *طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها*، الرباط، مطبعة المعارف، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة- إيسيكو، *تعليم اللغة لأغراض خاصّة: مفاهيمه ومنهجيّاته المشكلة ومسوّغات الحركة*، معهد الخرطوم الدّولي، 2003.

فتحي والرؤوف الشيخ (2003). ص125، نقلا عن بحث الثقافة العربية، 4-5.

ماهر، ر. والسيد، م. ولقم، أ. (2019). تعليم العربيّة لأغراض خاصّة وموقف التّراث منه، *مجلّة إشكالات في اللغة والأدب*، 8(6)، 198- 201.

مدكور، ط. وهريدي (2010)، 347. نقلا عن بحث الثقافة الإسلاميّة، ص2.

غزالة. (1987)، نقلا عن بحث الثقافة ص4.

فتحي والرؤوف الشيخ. (2003)، 127. نقلا عن بحث الثقافة الإسلامية، ص4.

إسليم، ن. وأبو حاكمة، غ. (2016). *سلسلة كتاب كلمة ونغم*. منشورات جامعة تكساس. الولايات المتحدة الأمريكية الطبعة 1.

ساتي، خ. ومسعود، أ. (2015). إشكالية المنهج في تعليم العربية للناطقين بغيرها. *مجلة العلوم الإنسانية*. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات، 2، 298.

[2]حمان، ص. (2019). التعليم التفاعلي وإدارة الصف التعليمي للناطقين بغير العربية. جامعة الجزائر 2. *مجلة اللغة العربية*، 43(21)، 262.

[1]لفوزان، ع. ومختار، ح. وفضل، م. (2002). *العربية بين يديك*. مؤسسة الوقف الإسلامي – الرياض..

References

Aljaafrah, A. (2007). Teaching Arabic as second\ Foreign language: coming to grips with reality. Mutah lil-Buhith. *Wa Dirasat*. 22(1), 162.